السيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم
(المرحلة المكية نموذجا)
دراسة موضوعية

الجزء الأول

إعداد

د/ المتولي علي الشحات بستان
ب/ بتلجان بوسلام

حقوق الطبع محفوظة

دار ندوة العلما للطباعة والنشر بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٧/٤٢٠٨م

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي، هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، القرآن الكريم كلام الله العظيم، جعله الله معجزة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة إلى قيام الساعة، جاء لهداية البشرية وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وهو دستور إصلاح البشر، يستند إليه في العقائد، ويرجع إليه في العبادات والمعاملات، ويُهتدى به في تمييز الحلال من الحرام، ما ترك خيرا تعرف

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢
(٢) سورة النساء الآية ١
(٣) سورة الأحزاب الآية ٧٠-٧١

العقول أنه خير، إلا وأرشد إليه ورغب فيه، ولا شرا إلا وحذر منه، بُنيت أحكامه على أساس متين، يقوم على رعاية مصالح الناس وحماية مقاصدهم الضرورية التي لا قوام للعيش بدونها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1].

وقد تعددت عناية العلماء قديما وحديثا بالقرآن الكريم، واستخراج هداياته، وقد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة، وأطيافا متنوعة، تجلت في التأليف في مختلف علوم القرآن الكريم، والناسخ والمنسوخ، وجمع القرآن وتدوينه، وأسباب النزول، والسيرة النبوية الشريفة،والإعجاز البلاغي وغير ذلك من المباحث المهمة.

فالسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام: عبارة في الحقيقة عن الرسالة التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المجتمع البشري، وأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، وهي مستقاة من الدستور الأسمى وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالعلاقة بين القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة علاقة متداخلة، ويبرز ذلك من خلال جوانب كثيرة، أوضحها:

(١) سورة الإسراء الآية ٩

الأول: كون القرآن الكريم هو المصدر الرئيسي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد سجل القرآن في آياته البينات جوانب كثيرة من سيرته صلى الله عليه وسلم، فجعلها وحيا متلوا، وخلد بها سيرته صلى الله عليه وسلم.

الثاني: احتفاظ القرآن الكريم بهذه السيرة نقية لا تشوبها شائبة، ومن ثم، فلايمكن أن نعرف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حق المعرفة إلامن القرآن.

الثالث: إن فهم وتفسير كثير من آي الذكر الحكيم، يتوقف على معرفة سيرته صلى الله عليه وسلم، بحيث إن مقاصد وروح القرآن لم تتجسد على أرض الواقع، وتطبق بشكل حقيقي وصحيح إلا من خلال سيرته صلى الله عليه وسلم، فدراسة هذه السيرة في القرآن لمن أهم وسائل تدبر وفهم كتاب الله عز وجل.

ولقد أدرك المسلمون هذه العلاقة بين القرآن والسيرة على مر العصور، لكن هذا الإدراك كان عميقا وواعيا في الأجيال المسلمة الأولى، التي شهدت التنزيل وشاهدت التطبيق؛ فعبرت عن تلك العلاقة بين القرآن والسيرة، بعبارات متنوعة، لكنها كلها جامعة مانعة تستضمر ذلك الوعي العميق لهذا التداخل؛ وأبرز تلك المقولات، قول أمنا عائشة رضي الله عنها، لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: "كان خلقه

القرآن"[1]،ثم جاء بعد هذا الجيل، من عبر عن هذا التداخل بقوله: "كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه كما نعلم السورة من القرآن"[2]

وهذا البحث، محاولة متواضعة في إحياء هذا الفهم لتلك العلاقة الوطيدة بين القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة، لكي نرى سيرة رسولنا الأعظم في القرآن الكريم، ونرى القرآن من خلال سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم.

وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى جزءين:

الجزء الأول تكلمت فيه عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم من ميلاده إلى بعثته فيه، وتربية الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، وخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته.

أما الجزء الثاني من البحث سأتناوله في حينه إن شاء الله.

وقد قسمت هذا البحث الذي نحن بصدد الحديث عنه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

(١) أخرجه مسلم في المسند الصحيح، كتاب الصلاة، باب جامع صلاة الليل، (١٦٩/٢) ، رقم١٦٨٦.

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ط١، ٣٥٩/٩

أما التمهيد ويشتمل على التعريف بمفردات البحث: ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعريف بالسيرة النبوية الشريفة.

المطلب الثالث: التعريف بالعهد المكي.

الفصل الأول: شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم من ميلاده إلى بعثته، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: نسبه الشريف وولادته وأسماؤه صلى الله عليه وسلم، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: ولادته صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: أسماؤه صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: الله عز وجل يربي محمدا بالأحداث والأحوال الفاضلة تمهيدا لبعثته، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحداث الكبار.

المطلب الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحوال الفاضلة.

الفصل الثاني: تربية الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالقرآن، ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الله يربي الرسول على أداء حق القرآن

المطلب الثاني: القرآن يربي الرسول على إخلاص العبادة لله.

المطلب الثالث: تربيته صلى الله عليه وسلم بقصص الماضين من الأنبياء والأمم.

المطلب الرابع: القرآن يتبث الرسول صلى الله عليه وسلم أمام ما يلقاه من المكذبين والمعاندين.

المبحث الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالعبادات، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالصلوات وما يتبعها من العبادات.

المطلب الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالدوام على العبادة والاشتغال بها.

الفصل الثالث: خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس.

المطلب الثاني: تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وتشريفه إياه والدفاع عنه.

المطلب الثالث: عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للعالمين.

المبحث الثاني: معجزاته صلى الله عليه وسلم، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معجزة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الثالث: معجزة الإسراء والمعراج.

أما التمهيد: فيشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعريف بالسيرة النبوية الشريفة.

المطلب الثالث: التعريف بالعهد المكي.

التمهيد: التعريف بمفردات موضوع البحث

يقتضي منهج البحث تناول مفردات موضوعه بالتعريف، وليس القصد في ذلك ذكر الاختلافات الحاصلة في تعريفها وبيان الراجح منها، فذلك شأن مستقل بعلومه وكتبه ومباحثه؛ إنما القصد عرض عام يعرف منه كل مفردة، حتى إذا أضيفت إلى مجموعها أعطت تعريفا تاما لمعنى الموضوع.

المطلب الأول: التعريف بالقرآن الكريم.

تعريف القرآن لغة:

قال الراغب[1]في المفردات في غريب القرآن: "والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان."[2].

وورد في لسان العرب لابن منظور[3]: "ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور، فيضمها"[4].

(١) مفضل بن محمد الأصبهاني أبو القاسم الراغب، من مصنفاته مفردات القرآن، توفي ٥٣٥هـ (الأدنه وي، طبقات المفسرين، ط١، ١٦٨/١-١٦٩)

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط١، ٦٦٨/١

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، ولد بمصر٦٣٠هـ وتوفي بها ٧١١هـ، أشهر كتبه (لسان العرب) عشرون مجلدا، جمع فيه أمهات كتب اللغة(الزركلي، الأعلام، ط٥، ١٠٨/٧)

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، ١٢٨/١

تعريف القرآن اصطلاحا:

القرآن: "كلام الله، المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته"[1].

والقرآن أيضا: "هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"[2].

التعريف الأول اقتصر على وصفي التعبد بالقرآن والتنزيل على الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الوصفين يكفيان في تحصيل الغرض وهو بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه.

أما التعريف الثاني، فأضاف خصائص أخرى لأن مقام التعريف مقام إيضاح وبيان فيناسبه الإطناب؛ ولاشك في أفضلية هذا التعريف، لأن المقصود هو التعريف، فلزم زيادة البيان والتوضيح.

(١) القطان، مباحث في علوم القرآن، ط٣، ١/١٧

(٢) الزرقاني، المصدر السابق، ط١، ١/٢١

المطلب الثاني: التعريف بالسيرة النبوية الشريفة:

تعريف السيرة لغة: ورد في التعريفات للجرجاني[١]: السيرة وهي الطريقة سواء كانت خيرا أو شرا يقال فلان محمود السيرة وفلان مذموم السيرة "[٢].

وورد في القاموس المحيطللفيروزآبادي[٣]: "السيرة، بالكسر: السنة، والطريقة، والهيئة، والميزة"[٤].

تعريف السيرة اصطلاحا: قال ابن هشام في وضع حد اصطلاح السيرة: "وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم...وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن

(١) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية.ولد في تاكو [أو تاجو] (قرب أستراباذ) ٧٤٠هـ وتوفي ٨١٦ هـ.له نحو خمسين مصنفا، منها "التعريفات"(الزركلي، الأعلام، ط٥، ٧/٥)

(٢) الجرجاني، التعريفات، ط١، ١٦٣/١

(٣) هو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي، صاحب اللامع المعلم العجاب، الجامع بين المحكم والعباب، والقاموس المحيط، ولد بكازرون وهي بلدة بفارس سنة ٧٢٩ هـ، توفي بزبيد باليمن ٨١٧هـ.(الزركلي، الأعلام، ط٥، ١٤٦/٧)

(٤) الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ط٨، ٤١٢/١

شيء، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيرا له، ولا شاهدا عليه؛ لما ذكرت من الاختصار" [١].

" فأفراد مصطلح السيرة في كلامه المتين ثلاثة:

الأول: ما فيه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار.

الثاني: مانزل فيه من القرآن شيء.

الثالث : ما يستعان به على فهم ما ذكر بيانا لمعناه" [٢].

المطلب الثالث: التعريف بالعهد المكي:

إن تحديد تعريف هذه المفردة –مفردة المكي– من موضوع البحث لايلزم منها الدخول في الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني، فذلك بحث آخر؛ لذلك سأراعي في تحديد هذا الاصطلاح عاملالزمن الذي يجعل العهد المكي من السيرة النبوية ينحصر بين ولادته صلى الله عليه وسلم، وهجرته عليه السلام إلى المدينة النبوية الشريفة.

وهذا العهد استغرق ثلاث وخمسين سنة تقريبا من حياته الشريفة صلى الله عليه وسلم، ويمكن تقسيمه إلى مرحلتين:

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ط٢، ٤/١
(٢) مرزوك، دلالة مصطلح "السيرة" بين ابن هشام والحاكم

المرحلة المكية من حياته صلى الله عليه وسلم قبل النبوة والرسالة، ومدتها تقريبا أربعين سنة، وقد أشار القرآن إلى هذه المرحلة من حياته صلى الله عليه وسلم في آيات قليلة.

المرحلة المكية من حياته صلى الله عليه وسلم بعد النبوة والرسالة، ومدتها تقريبا ثلاث عشرة سنة، وأكثر أحداث السيرة النبوية في القرآن الكريم في العهد المكي من هذه المرحلة. وتشمل هذه المرحلة على عدة مراحل سيجيء تفصيلها في موضعه.

الفصل الأول: شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم من ميلاده إلى بعثته، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: نسبه الشريف وولادته وأسماؤه صلى الله عليه وسلم، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: ولادته صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: أسماؤه صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: الله عز وجل يربي محمدا بالأحداث والأحوال الفاضلة تمهيدا لبعثته، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحداث الكبار

المطلب الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحوال الفاضلة

المبحث الأول

نسبه الشريف وولادته وأسماؤه صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم:

لم يشر القرآن بشكل صريح إلى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل لمح إلى ذلك من خلال الإخبار بدعوة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾[1]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى إخبارا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، أي من ذرية إبراهيم"[2].

وقد جاءت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تثبت نسبه الشريف إلى إبراهيم عليه السلام، منها ما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: قال قلت: يا نبي الله ما كان أول

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١،١ /٣١٦

بدء أمرك؟ قال دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام "[1].

ومن الآيات التي لمحت إلى نسبه صلى الله عليه وسلم أيضا، قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[2].

قال الطبري "وقوله﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ قد يحتمل نصبها﴿ مِّلَّةَ ﴾أن تكون على وجه الأمر بها، لأن الكلام قبله أمر، فكأنه قيل: اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم"[3].

وقال النيسابوري[4]:"قوله ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ﴾أي ملة أبيكم إبراهيم...وإنما كان إبراهيم أبا هذه الأمة لأنه أبو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل نبي أبو أمته"[5].

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، (٣٦ /٥٩٥) ، رقم (٢٢٢٦١) ، قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد: صحيح لغيره، وهذا اسناد ضعيف.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨
(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ١٨ /٦٨٨
(٤) حسن بن محمد الشهير بابن القمي النيسابورينظام الدين وكان يعرف بنظام الأعرج، صنف غرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير توفي ٨٥٠ ه.(الأدنه وي، طبقات المفسرين، ط١، ٤٢٠/١)
(٥) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط١، ١٠٣/٥

ومن خلال هذه الأمثلة، يتضح أن القرآن الكريم جعل نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم إلى إبراهيم عليه السلام.

ثم إن القرآن قد زاوج نسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إبراهيم، فبالإضافة إلى نسب القرابة، هناك نسب العقيدة والملة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ ﴾[2].

ولعل اقتصارالقرآن على التلميح لهذه الجهة البعيدةمن نسبه الشريف من حيث القرابة دون التفات إلى نسبه القريب المباشر يرجع والله أعلم إلى:

– ما ختم الإشارة إليه من نسب العقيدة والملة بينه صلى الله عليه وسلم وأبيه ابراهيم على عكس أبيه عبد المطلب.

حث مشركي قريش وإغرائهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه، أنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل، فلزمهم هذا الادعاء، الإيمان به وإتباعه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: ولادته صلى الله عليه وسلم:

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٣
(٢) سورة الانعام، الآية: ١٦١

ذكر القرآن الكريم أحداثا من حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، خاصة منها ماكان له علاقة بنبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم.

إلا أنه في المقابل، نجد القرآن ترك الإشارة إلى بعض الأحداث التي لها علاقة بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل المولد الشريف وما اكتنفه من أحداث ومبشرات.

وعند إثارة هذه القضية، فهذا لا يعني أن القرآن ينبغي أن يذكر كل أحداث السيرة وتفاصيلها، فمثل هذا القول لا يقول به إلا جاهل أو مغرض.

لكن ما ينبغي إثارته هنا، هو أن القرآن الكريم ترك الإشارة إلى ولادته صلى الله عليه وسلم، وفي نفس الوقت أشار إلى ولادة كثير من الأنبياء والرسل، من خلال الوحي أو تبشير أمهاتهم أو آبائهم بمستقبلهم ونبوتهم، ومن ذلك:

أن الله بشر إبراهيم عليه السلام بإسحاق ويعقوب، قال تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾[1]، وبشر أم موسى عليه السلام أيضا بمستقبله ورسالته، قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ

(1) سورة هود، الآية: ٧١.

مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾[1]، قال السعدي[2]: "فبشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا"[3].

كذلك بشرت الملائكة نبي الله زكريا بيحيي عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[4]، كما أخبر تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام بالمسيح عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[5].

ومن خلال هذه الأدلة، تبين أن القرآن كان صريحا في الإشارة إلى ولادة أولئك الأنبياء من خلال تبشير وإعلام أمهاتهم أو آبائهم، أما بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم، فإن القرآن لم يشر إلى شيء من تبشير أمه بذلك؛ اللهم ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي

---

(1) سورة القصص، الآية: ٧.

(2) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي، ولد بعنيزة في القصيم ١٣٠٧ه وتوفي ١٣٦٧ه، من مؤلفاته "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" (مقدمة تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ط٣، ٦/١)

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص٦١٢

(4) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(5) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

رواهالإمام أحمد[1] وغيره من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: قال قلت: يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام "[2].

وهكذا بشر القرآن بنبوة ورسالة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال إبراهيم وعيسى عليهما السلام بمعزل عن الإشارة لمولده صلى الله عليه وسلم.

أما من حيث تاريخ ومكان ولادته صلى الله عليه وسلم، فقد اتفق أهل السير والتاريخ في مولده صلى الله عليه وسلم من حيث المكان، إذ يجمعون أنه ولد بمكة؛ وهي موطن الرسول الأول، بها ولد وفيها نشأ وفيها نزل عليه الوحي؛ والقرآن الكريم نسبه صلى الله عليه وسلم إلى هذا الموطن في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾[3]، "يقول

(1) أحمد محمد بن بن حنبل، أبو عبد الله، الشيبانيّ الوائلي: إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمة الأربعة، ولد ببغداد١٦٤ه وتوفي٢٤١ه.(الزركلي، الأعلام، ط٥، ٢٠٣/١)

(2) أخرجه أحمد في المسند، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، (٣٦ /٥٩٥) ، رقم (٢٢٢٦١) ، قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(3) سورة محمد، الآية: ١٣.

تعالى ذكره: وكم يامحمد من قرية هي أشد قوة من قريتك، يقول أهلها أشد بأسا، وأكثر جمعا، وأعد عديدا من أهل قريتك، وهي مكة"[1]

إلا أن مولده صلى الله عليه وسلم من حيث الزمان، قد وقع فيه اختلاف كبير بين أهل السير والتاريخ؛ هل ولد صلى الله عليه وسلم ليلا أو نهارا، وهل ولد في ربيع الأول أو في رمضان أو في غيره، قال محمد الغزالي[2] في كتابه فقه السيرة: "لم يتمكن المؤرخون من تحديد اليوم والشهر والعام الذي ولد فيه على وجه الدقة...وتحديد يوم الميلاد لا يرتبط به من الناحية الإسلامية شيء ذو بال؟ فالأحفال التي تقام لهذه المناسبة تقليد دنيوي لا صلة له بالشريعة"[3].

المطلب الثالث: أسماؤه صلى الله عليه وسلم:

إن الله عز وجل عظم قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وخصه بفضائل ومناقب ومكارم ومحاسن كاملة؛ ومن ذلك أسماؤه صلى الله عليه وسلم التي شرفه الله عز وجل بتسميته إياه، والتي ذكر القرآن منها الكثير،

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ١٦٤/٢٢

(2) محمد الغزالي، عالم ومفكر إسلامي مصري كبير، ولد بمحافظة البحيرة بمصر في ١٣٣٥/ ١٩١٧م، من مؤلفاته: " فقه السيرة". تُوُفِّي الشيخ محمد الغزالي يوم السبت ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.(الموسوعة العربية العالمية)

(3) الغزالي، فقه السيرة، ط١، ص٦٣.

وذكر منها الرسول صلى الله عليه وسلم أخصها وأشهرها، فقد ورد عند البخاري[1]، في صحيحه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليخمسة أسماء أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"[2].

وأشهر هذه الأسماء محمد وأحمد، وقد ورد محمد في القرآن في أربع مواضع، في آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، ففي سورة الفتح، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾[3].

أما اسمه أحمد، فقد بشر به عيسى عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[4].

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بذدزبة الجعفي، مولاهم البخاري، الإمام العلم، الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله بن أبي الحسن،ولد ببخارى١٩٤ه، وتوفي رحمه الله٢٥٦ ه.(ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري، ط١، ١٧٧/١)

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب المناقب، باب ماجاء في اسماء رسول الله، ص٤٨٢، رقم ٣٥٣٢

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩

(٤) سورة الصف، الآية: ٦

ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم في القرآن عبد الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾[1]أي "لما قام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله يقول: " لا إله إلا الله" ﴿ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾يقول: كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض"[2].

وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾[3]""﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾، أي: سيره، وكذلك سرى به، والعبد هو: محمد صلى الله عليه وسلم"[4]، وقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾[5]، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[6].

ومن أسمائه أيضا في القرآن، المزمل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾[7]، والمدثر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾[8]، والبشير والنذير، قال تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ

---

(1) سورة الجن، الآية: ١٩

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٦٦٦/٢٣

(3) سورة الإسراء، الآية: ١

(4) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، ١٠٥/٣

(5) سورة الانفال، الآية: ٤١

(6) سورة البقرة، الآية: ٢٣

(7) سورة المزمل، الآية: ١

(8) سورة المدثر، الآية: ١.

وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[1]، والرؤوف الرحيم: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2]، والمبشر والشاهد: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[3]، وخاتم النبيين: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[4]، ونبي الرحمة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[5].

وإذا تدبرنا هذه الآيات في الأمثلة التي ذكرناها من أسمائه صلى الله عليه وسلم وجدنا ما يأتي:

-أن "أسماءه صلى الله عليه وسلم، دَليل على ما ينكره الجاحدون من صفات كماله"[6]عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد" [7].

([1]) سورة هود، الآية: ٢

([2]) سورة التوبة، الآية: ١٢٨

([3]) سورة الفتح، الآية: ٨

([4]) سورة الاحزاب، الآية: ٤٠

([5]) سورة الانبياء، الآية: ١٠٧

([6]) ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ١٧٦/١

([7]) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله، ص٤٨٢، رقم ٣٥٣٣.

-أن القرآن "يقرن بين أسمائه صلى الله عليه وسلم التي فيها الرجاء وأسمائه التي فيها المخافة "[1] .

مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ ﴾[3].

-أن اسميه محمد وأحمد وردا في السور المدنية دون السور المكية، وهذا ما دفع بعض المغرضين من المستشرقين إلى القول بأن لفظة (محمد) لم تكن اسم علم للرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، وإنما اتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى.

وهذا فيه تجاهل متعمد لبشارة عيسى عليه السلام باسمه حتى قبل أن يولد، فضلا عن الهجرة؛ كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾[4].

-" أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال: يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى، ولم يخاطب هو إلا: يا

---

(1) ابن القيم، المصدر السابق، ١٧١/١

(2) سورة الفتح، الآية: ٨

(3) سورة هود، الآية: ٢

(4) سورة الصف، الآية: ٦.

أيها الرسول، يا أيها النبي، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر"[1]، قاله القاضي عياض[2].

المبحث الثاني

الله عزوجل يربي محمدا بأحداث وأحوال فاضلة تمهيدا لبعثته

كان الرسول صلى الله عليه وسلم من أكمل الناس تربية ونشأة، وذلك كونه صلى الله عليه وسلم حباه الله بعنايته وكرامته، تمهيدا لبعثته وإرساله رحمة وهدى للعالمين؛ فصنعه الله عز وجل على عينه، سنته في من تولاهم الله عز وجل من أوليائه من أنبيائه ورسله والصالحين من عباده، قال الله عز وجل لرسوله موسى عليه السلام: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[3]وقال في مريم: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[4].

---

(1) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،د.ط، ٣١/١

(2) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل. ولد بسبتة من بلاد المغرب الأقصى ٤٧٦هـ =

= من مؤلفاته: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، ولعله أشهر مؤلفات القاضي عياض.توفي رحمه الله بمراكش ٥٤٤هـ(الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط١، ٦٨/٤)

(3) سورة طه، الآية: ٣٩.

(4) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

فإذا كان ذلك في حق موسى عليه السلام وحق مريم، فهوفي حق محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وأكبر.

ألم يقل الله له في سورة الضحى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[1]، " فأقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى، وبالليل إذا سجى وادلهمت ظلمته، على اعتناء الله برسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ك الله أي: ما أبغضك منذ أحبك...فهذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج الكمال، ودوام اعتناء الله به"[2].

وقد كان لهذه التربية الإلهية لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أثر عظيم بلغ به أعلى الكمالات، حتى أنه "لا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه، ولا جرب عليه كذبة قط، ولا ظلم ولا فاحشة"[3].

---

(1) سورة الضحى، الآية: ١-٢-٣.
(2) السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٩٢٨.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، ١٨/١.

هذه التربية الإلهية جعلته يتصف بخصال الكمال والعظمة الإنسانية المتميزة بالشمولية والتنوع تبعا لتعدد وجوه التربية الإلهية له، ومن ذلك:

المطلب الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحداث الكبار:

إن كتب السيرة تناولت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بكثير من التفصيل، إلا أن القرآن الكريم أشار إلى هذه المرحلة المباركة من حياته صلى الله عليه وسلم في آيات قليلة، منها:

– ما يرتبط بالأحداث الكبار في حياته صلى الله عليه وسلم من مثل اليتم والفقر والأمية، قال تعالى في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾[1].

"يقول تعالى ذكره معدّدا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نعمه عنده، ومذكره آلاءه قبله: ألم يجدك يا محمد ربك يتيما فآوى، يقول: فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلا تنزله﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم. وقال السديّ•••﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾قال: كان على أمر قومه أربعين عاما. وقيل: عُنِيَ بذلك: ووجدك في قوم ضلال فهداك.وقوله: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾يقول: ووجدك فقيرا فأغناك"[2]، "وعن

(1) سورة الضحى، الآية: ٦-٨

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ط١، ٢٤/٤٨٧-٤٨٨

قتادة ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾قال: كانت هذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى"[1].

وهذه الأحداث التي ذكرت في هذه الآيات، من مثل اليتم والفقر، وإن كانت في حد ذاتها مصائب ألمت بمحمد بن عبد الله قبل البعثة، فإنما هي في الحقيقة عناية من الله به لتربيته وإعداده لمرحلة النبوة والرسالة.قال الغزالي: "إن الرّجال الذين يسوسون الشعوب لا يجنحون إلى الجبروت إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام؛ فهو أسرع الناس إلى مواساة المحزونين، ومداواة المجروحين"[2]، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾[3].

قال القاضي عبد الجبار[4]في قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾[1]، قال: "فتأمل ما في هذا، فإنه صلّى الله عليه

(1) الطبري،المصدر السابق، ٤٨٨/٢٤
(2) الغزالي، فقه السيرة، ط١، ص٨٣
(3) سورة الضحى، الآية: ٩-١٠-١١
(4) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي: قاض، أصولي. كان شيخ المعتزلة في عصره. من تصانيفه: تثبيت دلائل النبوة و تنزيه القرآن عن المطاعن وغيرها. توفي ٤١٥ ه. (الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط١، ٣٧٣/١)

وسلم ما عرف العزّ بالأبوين كما يعرف من رباه أبواه؛ فإن أباه مات وهو حمل، وماتت أمه وهو رضيع، فأواه الله أكرم إيواء، فلما كمل، آتاه النبوة وعصمه وصانه"[٢].

ومن إعداد الله لرسوله أيضا، نشأته أميا، وقد وصفه الله بهذا الوصف في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[٣]وفي قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[٤].

وصفة الأمية في حقه صلى الله عليه وسلم ليست وصف نقصان، وإن كانت كذلك في غيره؛ فهي فيه صلى الله عليه وسلم صفة كمال، وذلك من وجوه:

الأول: أن ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم والمعرفة وكمال العقل والذكاء، والبعد عن الخطأ، لم يكن مثله لأحد؛ فدل ذلك

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٦-٧.
(٢) القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،د.ط، ٨٥/١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

والحال كونه أميا، أن ذلك العلم وغيره ليس من كسبه، وإنما هو من عند الله.

الثاني: أن أميته صلى الله عليه وسلم من أسباب تهيئة الله له لحمل الرسالة، فلو كان متعلما لكان ذلك سببا قويا في شك المبطلين في ما جاء به، وذريعة لتأكيد افتراءاتهم التي ذكرها القرآن. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾"[1].

يقول الطبري في تأويل هذه الآية: "﴿ وَمَا كُنتَ ﴾ يا محمد ﴿ تَتْلُواْ ﴾ يعني: تقرأ ﴿ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ يعني: من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك﴿ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾يقول: ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك كنت أميا، ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾يقول: ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ﴾يقول: إذن لشك – بسبب ذلك في أمرك، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم – المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأولين"[2].

فكان لابد إذن من مرور محمد بن عبد الله من هذه التجارب والأحداث الصعبة في الحياة قدرا من مولاه القادر العليم بما يهيئه له من المهمة العظمى، المستوجبة لاستعداد راسخ كرسوخ الجبال أو أشد؛ قال

(1) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٢٠/٥٠.

تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾[1]".

المطلب الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحوال الفاضلة

مما هيأ الله به محمدا صلى الله عليه وسلم لمقام الرسالة، تلك الأحوال الفاضلة والأوصاف الجميلة، من مكارم الأخلاق التي فطر الله عز وجل عليها محمدا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، كالأمانة والصدق ومواساة المحزونين ومعاونة المحرومين وعدم ظلمهم، وقد دل على اتصافه بهذه الأوصاف وغيرها، ما ذكره الله من صدقه وأمانته قبل البعثة في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾[2]، قال ابن كثير: " أي هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته، والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل لا تنتقدون علي شيئا تغمصوني به، ولهذا قال: ﴿ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾، أي أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل"[3].

---

(1) سورة الحشر، الآية: ٢١

(2) سورة يونس، الآية: ١٦

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٤، ٢٢١/١

وقد دل على هذا المعنى أيضا، قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]، أي: "أو منعهم من اتباع الحق أن رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم غير معروف عندهم فهم منكرون له؟ يقولون لا نعرفه ولا نعرف صدقه، دعونا حتى ننظر حاله ونسأل عنه من له به خبرة، أي: لم يكن الأمر كذلك، فإنهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة تامة صغيرهم وكبيرهم؛ يعرفون منه كل خلق جميل، ويعرفون صدقه وأمانته حتى كانوا يسمونه قبل البعثة " الأمين " فلم لا يصدقونه حين جاءهم بالحق العظيم والصدق المبين؟"[2].

وهكذا تكون هذه المكارم الربانية التي ربى الله عز وجل عليها رسوله صلى الله عليه وسلم، وتوفيقه إياه لكل خير وبعده عن كل شر، حيث لم يكن لتلك البيئة الجاهلية المظلمة أثر عليه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث إلى الناس، ما يبين عناية الله به ولطفه به تمهيدا لما سيختاره الله له من النبوة والرسالة.

ومما ذكر في هذا المبحث، ندرك كيف ربى الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم بتلك الأحداث والأحوال الفاضلة قبل بعثته في مرحلة دامت أربعين سنة، وبالوحي بعد البعثة النبوية لمدة ثلاث وعشرين سنة.

([1]) سورة المؤمنون، الآية: ٦٩.

([2]) السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٥٥٤.

الفصل الثاني: تربية الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالقرآن، ويحتوي على أربعة مطالب.

المطلب الأول: الله يربي الرسول على أداء حق القرآن.

المطلب الثاني: القرآن يربي الرسول على إخلاص العبادة لله.

المطلب الثالث: تربيته صلى الله عليه وسلم بقصص الماضين من الأنبياء والأمم.

المطلب الرابع: القرآن يتبث الرسول صلى الله عليه وسلم أمام ما يلقاه من المكذبين والمعاندين.

المبحث الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالعبادات، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالصلوات وما يتبعها من العبادات.

المطلب الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالدوام على العبادة والاشتغال بها.

المبحث الأول

تربيته صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم

"إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه"[1]، وجعله آخر الأنبياء والرسل، وجعل دينه الدين الوحيد المقبول عنده، كما جعله أسوة حسنة للمؤمنين؛ فكان لابد من تربيته من ربه عز وجل وتوجيهه وتسديده بالوحي حتى تكتمل فيه الأسوة الحسنة وتصلح به البشرية إلى يوم الدين.

وإن تتبع الآيات القرآنية الموجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالتربية والتوجيه والتسديد آيات كثيرة ذات مواضيع متنوعة ومتشعبة المجالات.

(1) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، (٦/٨٤) ، رقم (٣٦٠٠)، قال أحمد محمد شاكر في تخريج أحاديث مسند الامام أحمد: إسناده صحيح وهو موقوف على ابن مسعود. والحديث كاملا هو: عن ابن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء.

المطلب الأول: الله يربي الرسول على أداء حق القرآن

كانت من خطوات الوحي في تربية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إعلامه من ربه بثقل المسؤولية المنوطة به وعظم شأن الوحي الذي أنزل عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾[1]،أي: "نوحي إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له"[2].

وفي سبيل استثارة همة النبي صلى الله عليه وسلم في أداء حق هذا القرآن المنزل عليه، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾[3]، يقول جلّ ثناؤه: "﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾، وهو حجر، لرأيته يا محمد خاشعًا؛ يقول: متذللا متصدّعا من خشية الله على قساوته، حذرًا من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن"[4]

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ

---

(1) سورة المزمل، الآية: ٥

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص٨٩٢

(3) سورة الحشر، الآية: ٢١

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٣٠٠/٢٣

جَمِيعًا ﴾[1]،" يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله، ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾أي لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم به الموتى في قبورهم، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره"[2].

ومن تم، فإن كان هذا القرآن العظيم يستطيع أن يحدث هذا التغيير الهائل في هذه الجمادات الضخمة القاسية، فإن أثره في تغيير وتربية نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أهون وأيسر لأن الله عز وجل هيأ هذه النفس الكريمة وأعدها لحمل هذه الرسالة العظيمة للعالمين.

وإلى جانب هذا فإن الله عز وجل وهو يوحي إلى نبيه هذا النور العظيم، وهذه الهداية الواضحة، يربيه على شكر هذه النعمة والاعتراف بها لصاحبها الذي تفضل بها وأنعم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3]، "يقول تعالى ذكره: وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن... إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليك"[4].

([1]) سورة الرعد، الآية: ٣١

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، ٣٩٦/٤

([3]) سورة القصص، الآية: ٨٦

([4]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٦٤٢/١٩

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾[1]، "يقول عزّ وجلّ ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ ﴾يا محمد ﴿ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ولكنه لا يشاء ذلك، رحمة من ربك وتفضلا منه عليك ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾[2].

باصطفائه إياك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى"[3]وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[4]، "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ ﴾يقول: وإن استقمت على الحق ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾يقول: فبوحي الله الذي يوحِي إلي، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى"[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[6].

---

(1) سورة الاسراء، الآية: ٨٦

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٧

(3) الطبري، مصدر سابق، ٥٤٦/١٧

(4) سورة سبأ، الآية: ٥٠

(5) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٤٢٠/٢٠

(6) سورة الشورى، الآية: ٥٢

ومع هذا الاعتراف من النبي صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة وشكره إياها، فإن الله عز وجل يحثه على الزيادة من الاستمساك بالوحي، قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]، قال الرازي[2] في مفاتيح الغيب: "﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَ ﴾ بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بموجبه فإنه الصراط المستقيم الذي لا يميل عنه إلا ضال في الدين"[3].

بل أمره الله ألا يساوره أدنى شك في أن هذا الوحي من عنده، قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[4]، "يقول الله تعالى لنبيه: فلا تك في شك منه... وأن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك من عند الله"[5].

(1) سورة الزخرف، الآية: ٤٣

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد٥٤٤هـ من مؤلفاته مفاتيح الغيب، وهو تفسير جامع. توفي ٦٠٦ه(الشيراوي، طبقات الفقهاء، ط.القلم، ٢٦٣/١)

(3) الرازي، مفاتيح الغيب أوالتفسير الكبير، ط٣، ٦٣٤/٢٧

(4) سورة هود، الآية: ١٧

(5) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ط١، ٢٧٩/١٥

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[1]"قال الفراء: علم الله سبحانه وتعالى أن رسوله غير شاك، لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبده: إن كنت عبدي فأطعني، ويقول لولده: افعل كذا وكذا إن كنت ابني، ولا يكون بذلك على وجه الشك"[2].

وفي مقابل ذلك بين الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم، أن ما يعبده المشركون من الآلهة والأصنام، ضلال وباطل، وأنه بالله شرك، ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3].

(1) سورة يونس، الآية: ٩٤.
(2) البغوي،معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، ٤٣٤/٢
(3) سورة هود، الآية: ١٠٩.

المطلب الثاني: القرآن يربي الرسول على إخلاص العبادة لله:

إن الوحي في المرحلة المكية ركز أكثر على جانب العقيدة، حيث كان للوحي في هذا الجانب أولوية كبيرة في تربيته صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحدة، ونبذ الشرك في كل صوره.

فكان الخطاب القرآني في تربية الرسول صلى الله عليه وسلم على التوحيد، يتوجه إليه صلى الله عليه وسلم بأساليب مختلفة؛ فيكون أحيانا بالأمر والترغيب، وأحيانا أخرى بالنهي والترهيب.

ففي جانب الأمر والترغيب، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[2]، "﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد"[3]

([1]) سورة الاخلاص، الآيات: ١-٢-٣-٤

([2]) سورة الزمر، الآية: ٢.

([3]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٧١٧

وقوله جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾[1] ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾[3] أي: "أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذه المشركون من دونه"[4]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[5].

أما في جانب النهي والترهيب، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾[6] "الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه الأمة، ﴿ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ مطرودا مبعدا من كل خير"[7]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[8] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ

---

(1) سورة الزمر، الآية: ١١.
(2) سورة الزمر، الآية: ٦٦
(3) سورة الجن، الآية: ٢٠
(4) السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص٨٩٠
(5) سورة الكهف، الآية: ١١٠
(6) سورة الاسراء، الآية: ٣٩
(7) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، ١٣٥/٣
(8) سورة الاسراء، الآية: ٢٢

ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2] .وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾ ﴾[4] وقوله: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[6].

بل أمره الله عز وجل أن يتبرأ من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[7] كما قال تعالى أيضا: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠

([1]) سورة الجاثية، الآية: ١٨-١٩

([2]) سورة الزمر، الآية: ٦٥

([3]) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

([4]) سورة الاسراء، الآية: ٧٣ -٧٥.

([5]) سورة الحاقة، الآية: ٤٤-٤٦.

([6]) سورة الانعام، الآية: ١١٦.

([7]) سورة الكافرون، الآية: ١-٦

بَرِيٓـَٔۢ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1]"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن كذبك، يا محمد، هؤلاء المشركون، وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، فقل لهم: أيها القوم، لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، لا يضرني عملكم، ولا يضركم عملي، وإنما يجازى كل عامل بعمله"[2].

وقال أيضا: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[4]، "يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلى عبادة الأوثان: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ ﴾أيها الجاهلون بالله ﴿ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ ﴾ أن ﴿أَعۡبُدُ ﴾ ولا تصلح العبادة لشيء سواه"[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[6]وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ

(1) سورة يونس، الآية: ٤١
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٩٤/١٥
(3) سورة الشورى، الآية: ١٥
(4) سورة الزمر، الآية: ٦٤
(5) الطبري، مصدر سابق، ٣٢٢/٢١
(6) سورة الكهف، الآية: ٢٨

أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

بل حذره الله عز وجل من ودادتهم ومداهنتهم، قطعا لمرادهم التدرج من المداهنة والملاينة معه صلى الله عليه وسلم إلى ما بعدها من تعطيل الدين وإعلان الكفر، قال تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3].

(1) سورة الانعام، الآية: ٥٦

(2) سورة يونس، الآية: ١٠٤.

(3) سورة القلم، الآية: ٩.

المطلب الثالث: تربيته صلى الله عليه وسلم بقصص الماضين من الأنبياء والأمم:

إن الله عز وجل عندما أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أخبره أنه لم يكن سوى حلقة في تلك السلسلة الإلهية من المصطفين الأخيار من عباده من الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ﴾[2].

لذلك أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالإقتداء والتأسي بهم، **قال تعالى:** ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[3].

---

(1) سورة النساء، الآية: ١٦٣

(2) سورة الشورى، الآية: ٣

(3) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣-٩٠.

يقول ابن عطية[1]: "الظاهر في الإشارة، ب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾أنها إلى المذكورين قبل من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين المهديين. ومعنى الاقتداء: اتباع الأثر في القول والفعل والسيرة، وإنما يصح اقتداؤه بجميعهم في العقود والإيمان والتوحيد الذي ليس بينهم فيه اختلاف، وأما أعمال الشرائع فمختلفة"[2].

وقد قص القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحوال الأنبياء وهم يدعون أممهم إلى الهدى وعبادة الله وما لقوا في ذلك، حتى يتأسى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتسلى بأحوالهم في مواجهة ما يلقاه من كفار قومه.

ولقد عرض القرآن الكريم جوانب مختلفة من تلك الأحوال يصعب الإحاطة بها في مثل هذا المقام، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ ﴾[3]وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا

(1) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، توفي٥٤٦ه(الأدنه وي، طبقات المفسرين، ط١، ١٧٦/١)

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، ٣١٨/٢

(3) سورة سبأ، الآية: ٣٤

بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

المطلب الرابع: القرآن يثبت الرسول صلى الله عليه وسلم أمام ما يلقاه من المكذبين والمعاندين:

تعرض القرآن بالبيان لما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه، من التكذيب، والإعراض، والاستهزاء والاتهام بالجنون والسحر، وغيرها؛ وهو يبلغ رسالة ربه ويدعو الى الحق والهدى.ومن أمثلة ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾[3]"وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾، أي

(1) سورة إبراهيم، الآية: ٩-١٠
(2) سورة ص، الآية: ٤
(3) سورة يونس، الآية: ٢

مع أنا بعثنا إليهم رسولا منهم رجلا من جنسهم بشيرا ونذيرا قال الكافرون إن هذا لساحر مبين، أي ظاهر وهم الكاذبون في ذلك"[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، 4/216
(2) سورة الصافات، الايات35-36
(3) سورة الانبياء، الآية: 5
(4) سورة سبأ، الآية: 43
(5) سورة المدثر، الآية: 24-25.
(6) سورة القمر، الآية: 2-3.

عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[1] وقوله: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ ﴾[2].

وكانوا ينظرون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعين الاحتقار، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ ﴾[3]"يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأوه... وقال هاهنا ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ ﴾أي على سبيل التنقيص والازدراء"[4].

وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ ﴾[5].

وأمام هذا العناد والتكذيب والاستهزاء والاحتقار وغيره، نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يربيه ويوجهه الوجهة الصائبة بطرق مختلفة، منها:

---

(1) سورة الفرقان، الآية: ٤-٥.
(2) سورة القلم، الآية: ٥١.
(3) سورة الفرقان، الآية: ٤١
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، ١٠٢/٦
(5) سورة الأنعام، الآية: ١٠

-تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيته فيما يلقاه من المكذبين والمعاندين قال تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[1]" أي: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك وعاندك ﴿ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرون عليه"[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾[3]أي "﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾يا أيها الرسول، فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين، ﴿ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ ﴾ فأهلك المكذبين، ونجى الله الرسل وأتباعهم. ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾"[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[5]وقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

---

(1) سورة فصلت ٤٣

(2) السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص٧٥٠

(3) سورة فاطر، الآية: ٤

(4) السعدي، مصدر سابق، ٦٨٤/١

(5) سورة هود، الآية: ١٢٠

(6) سورة الأنعام، الآية: ٣٣

﴿ ٧ ﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿ ١١٢ ﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿ ١٠ ﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ١١ ﴾﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ ٥٢ ﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿ ٥٣ ﴾﴾[4].

-تسليته صلى الله عليه وسلم بوعيد الله للمكذبين والمستهزئين به أن يسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ٤١ ﴾﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿ ١٧ ﴾﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ٥١ ﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ ٥٢ ﴾﴾[7] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

---

(1) سورة الزخرف، الآية: ٦-٧

(2) سورة الأنعام، الآية: ١١٢

(3) سورة الحجر، الآية: ١٠-١١

(4) سورة الذاريات، الآية: ٥٢-٥٣

(5) سورة الانبياء، الآية: ٤١

(6) سورة الاسراء، الآية: ١٧.

(7) سورة النمل، الآية: ٥٢

جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

يقول الشوكاني[2]: "سلى الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعزاه فقال ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾أي كذب من قبلهم من الأمم الماضية أنبياءهم ﴿ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾أى بالمعجزات الواضحة والدلالات الظاهرة...﴿ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، وضع الظاهر موضع الضمير يفيد التصريح بذمهم بما فى حيز الصلة ويشعر بعلة الأخذ ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي فكيف كان نكيرى عليهم وعقوبتى"[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾[5]، وقال في قوم هود لما كذبوه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ

---

(1) سورة فاطر، الآية: ٢٥-٢٦

(2) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب نيل الأوطار، ولد ١١٧٣ه توفي بصنعاء ١٢٥٠ه (الزركلي، الأعلام، ط١٥، ٢٩٨/٦)

(3) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط١، ٣٩٧/٤

(4) سورة الرعد، الآية: ٣٢

(5) سورة الانعام، الآية: ١١

(6) سورة الشعراء، الآية: ١٣٩.

كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾[6].

-أمره الله عز وجل بالصبر على أذى الجاهلين، وسيتم التطرق لهذه المسألة فيما يأتي من البحث.

---

(1) سورة الفرقان، الآية: ٣٧-٣٨-٣٩.
(2) سورة سبأ، الآية: ١٥-١٦-١٧
(3) سورةغافر، الآية: ٤-٥.
(4) سورة الاحقاف، الآية: ٢١-٢٦.
(5) سورة الفجر، الآية: ٦-١٤.
(6) سورة النجم، الآية: ٥٠-٥٢.

المبحث الثاني

تربيته صلى الله عليه وسلم بالعبادات

إن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فجعله مثالا للكمال البشري في كل شيء، فكانت حياته صلى الله عليه وسلم المثال والأسوة الكاملة في كل جوانبها، في العقيدة والعبادة وفي السلوك والأخلاق وفي العلم والعمل.

لذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستلذ بالعبادات ويجد راحته فيها لا يشغله عنها شاغل مهما كان، وكان أكمل الخلق في العبادة،يجاهد ويصابر نفسه عليها؛ وما ذلك إلا لكمال خشيته لله ومعرفته به، وكذلك لرعاية الله وتربيته إياه بالعبادات منذ نزول الوحي عليه، تنويرا وتزكية لروحه الكريمة وتثبيتا وتقوية لقلبه.

المطلب الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالصلوات وما يتبعها من العبادات:

أمر الله عز وجل رسوله بإقامة الصلاة، لأن الصلاة عمل عظيم، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[1]، "قال محمد بن كعب: إن أناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي وينحر لله عز وجل. وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصل لربك، صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: فصل الصلوات المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى، وروي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: فصل لربك وانحر، قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر"[2].

وقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾[3]، "يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة تامة، ظاهرا وباطنا، في أوقاتها﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾أي: ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال، فيدخل في ذلك صلاة الظهر وصلاة

---

(1) سورة الكوثر، الآية: ٢

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، ٣١٦/٥

(3) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

العصر، ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة المغرب وصلاة العشاء﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾أي: صلاة الفجر"[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ ﴾[3]"فأمره الله عز وجل بالصبر لما فيه من العون على عبادة الله والإكثار من ذكره فقال: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات"[4].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ ﴾[5].

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص٤٦٤.
(2) سورةطه، الآية: ١٣٠.
(3) سورة الإنسان، الآية: ٢٤-٢٥-٢٦
(4) السعدي، مصدر سابق، ص ٩٠١
(5) سورة غافر، الآية: ٥٥

كما أمر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقوم الليل بالقرآن قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾[1]، يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: "﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾يا محمد كله ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منه ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ ﴾ يقول: قم نصف الليل ﴿ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ﴾يقول: أو زد عليه.فخيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم."[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[3]، ثم ذكر الله عز وجل أن رسوله صلى الله عليه وسلم امتثل ذلك، هو وطائفة معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾[4]، ثم أنزل الله عليهم التخفيف

(1) سورةالمزمل، الآية: ١-٢-٣-٤.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦٧٨/٢٣.
(3) سورةالإسراء، الآية: ٧٩
(4) سورة المزمل، الآية: ٢٠

فرفع فرضية قيام الليل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾[1].

المطلب الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالدوام على العبادة والاشتغال بها

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتقرب إليه بجميع الطاعات، وأن يقيم عليها مادام حيا، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[2]" أمره بعبادة ربه أي بالدوام عليها إلى غاية هي قوله ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ أي الموت...فأمره بالإقامة على العبادة أبدا ما دام حيا"[3].

وقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[4]، "فأنت يا محمد ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر

---

(1) سورة المزمل، الآية: ٢٠

(2) سورةالحجر، الآية: ٩٩.

(3) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط١، ١٤٤/٣

(4) سورةالحجر، الآيات: ٩٧-٩٩

ويشرحه ويعينك على أمورك. ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات"[1]

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ ﴾[2]، ذكر الطبري أقوالا كثيرة لأهل العلم في هذه الآية، ثم قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن الله تعالى ذِكره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشتغلا من أمر دنياه وآخرته، مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قربه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصص بذلك حالا من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلا لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى"[3].

وأمر الله تعالى نبيه قائلا: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾[4]، ملفتا إياه إلى بعض مقاصد الصلاة وثمراتها؛ قال ابن عطية: "أمر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لأمره وتلاوة القرآن الذي أوحي إليه، وإقامة الصلاة أي إدامتها والقيام بحدودها ثم أخبر حكما منه إن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر"[5].

---

(1) السعدي، مصدر سابق، ٤٣٥/١

(2) سورة الشرح، الآية: ٧

(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٤٩٧/٢٤.

(4) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، ٣١٩/٤

كما أمره أيضا أن يجعل جميع عباداته لله عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾[1]، أورد الطبري أنه"قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، لأن قوما كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغيره فقيل له. اجعل صلاتك ونحرك لله، إذ كان من يكفر بالله يجعله لغيره"[2].

وقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾[3] "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له"[4].

(1) سورة الكوثر، الآية: ٢
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٢٤/٦٥٤
(3) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، ٣/٣٤٣

الفصل الثالث: خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس.

المطلب الثاني: تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وتشريفه إياه والدفاع عنه.

المطلب الثالث: عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للعالمين.

المبحث الثاني: معجزاته صلى الله عليه وسلم، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معجزة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الثالث: معجزة الإسراء والمعراج.

المبحث الأول

خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم[1]

إن ما ألف وكتب في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم كثير ومتنوع، وإن القصد من هذا المبحث ليس بيان أنواع هذه الخصائص وما يرتبط بذلك، أو الإحاطة ولو بجزء منها، فإن هذا الأمر قد أفردت له فصول ومباحث في كتب أئمة الإسلام وعلمائه، وإنما القصد هو بيان بعض الخصائص النبوية الشريفة الواردة في القرآن؛ والتي لها ارتباط بالسيرة النبوية في العهد المكي والتي تلتقي مع أهداف هذا البحث.

ومن ذلك:

المطلب الأول: عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس:

من حسن تدبير الله لشأن عبده ورسوله كله، وحفظ الله له وعنايته به، أن الله تولى أمره في جميع أطوار حياته.

(١) الخصيصة تطلق على أمورا نفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره من الأنبياء وأمته في الأحكام، وتطلق أيضا على ما خصه به الله عز وجل تشريفا وتفضيلا مثل: عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس.

فلما بعثه الله عز وجل بمكة "عاب آلهة المشركين وآباءهم وعقولهم وضلل أديانهم، فعصمه الله منهم وهو رجل فريد بينهم، وهو في مثوبة الموت، وخندق الخوف، وذل اليتم، ووحشة الوحدة، لا يعتصم منهم بمخلوق، فصرفهم الله عنه وهذه حاله، فلو لم يكن من آياته ودلائل نبوته إلا هذا لكفى وأغنى وزاد على الكفاية"[1].

ومما جاء في القرآن دال على خاصية عصمة الله له من الناس قول الله عز وجل:

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾[2]، "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾يقول جل ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين"[3].

وقول الله عز وجل: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ

(1) القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،د.ط، ١/٥-٦.
(2) سورة الطور، الآية: ٤٨
(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٢٢/٤٨٨

دِينِ﴾[1]، "فتأمل قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾كيف يجابههم صلى الله عليه وسلم بالإكفار والتجهيل والتضليل، وهم أشد عالم الله أنفة ونخوة وجبرية، ودفاعا عن أنفسهم، ومواثبة لعدوهم، وهو بمكة معهم وفي أيديهم وفي قبضتهم، والعزّة والغلبة والكثرة لهم لا له، فهيجهم على نفسه بهذا القول، وبعثهم على مكروهه، فنجاه الله منهم.وهذا قول لا يقوله عاقل وحاله ما وصفنا إلا وهو على غاية الثقة بالله، بدفعه عنه"[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾[3]، "وهذا حض من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدم منه إليه القول بأنه سيمنعه، من كل من بغاه سوءا وهلاكا، يقول جل ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيَّب منهم أحدا، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا"[4].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[5]أي"لاتخفهم فإن الله كافيك إياهم، وحافظك منهم "[1]وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ

(1) سورة الكافرون، الآية: ١-٦.
(2) القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،د.ط، ٤٢/١.
(3) سورة الاسراء، الآية: ٦٠.
(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٤٧٩/١٧.
(5) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[٢]أي: "أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من نواه بسوء"[٣].

وقال الله له أيضا:﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[٤]"أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك"[٥].

وحول هذه الآية، يقول الماوردي[٦]: "فعصمه الله من أعدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير، وهم على أتم حنق عليه وأشد طلب لنفسه، وهو بينهم مسترسل قاهر ولهم مخالط ومكاثر، ترمقه أبصارهم شذرا وترتعد عنه أيديهم ذعرا، وقد هاجر عنه أصحابه حذرا، حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليما لم يُكْلم في نفس ولا جسد، وما

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٤، ٤٧٣/١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٧٢٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٣، ١٣٧/١

(٦) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، من مؤلفاته: "أعلام النبوة".توفي ٤٥٠ه (الشيرازي أبو إسحاق، طبقات الفقهاء، د.ط، ١٣٨/١)

كان ذاك إلّا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحققها حيث يقول: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾فعصمه منهم"[1].

وقال الشيخ السعدي: "ووعده الله بالكفاية بقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ أي: بمرأى منا وحفظ، واعتناء بأمرك "[2].

ويؤخذ مما سبق:

-كمال عصمة النبي صلى الله عليه وسلّم من الناس، وتمام عصمته من الزلات والهفوات، ورفعة منزلته وعلو شأنه، في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا مقام من رعاه الله وحفظه في كل أحواله.

- أن الأمر كله بيد الله عز وجل، لأنه الذي بيده السراء والضراء دون غيره، فاستحق العبادة من هذه الجهة، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ١٠٧ ﴾[3].

لذلك أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه بأن يظهر هذه الحقيقة للناس، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[4].

([1]) الماوردي، أعلام النبوة،ط١.، ٩٥/١

([2]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٨١٨.

([3]) سورة يونس، الآية: ١٠.

([4]) سورة يونس، الآية: ٤٩.

المطلب الثاني: تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وتشريفه إياه والدفاع عنه:

ومن هذا التعظيم:

١- أن الله أقسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده وصدق رسالته:

قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١]، قال ابن كثير: "أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض.قال عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره"[٢].

أما قسمه بعصره، ففي قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ ﴾[٣]، أما قسمه ببلده وموطنه، فقال تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝٢ ﴾[٤]

(١) سورة الحجر، الآية:: ٧٢.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٤، ٤٦٥/١.
(٣) سورة العصر، الآية: ١-٢.
(٤) سورة البلد، الآية: ١-٢.

أما تعظيمه لرسالته، وقسمه بصدقها، قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1].

٢- أن الله رد على أعداء نبيه منافحة عنه وتشريفا لجنابه الكريم:

فعندما قال الكافرون: ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾[2]، رد الله ادعاءهم بقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾[3] ولما قالوا: ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ۝٣٦ ﴾[4]، رد الله تعالى عليهم فقال: ﴿ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣٧ ﴾[5]، فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه، فقال: ﴿ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ۝٣٨ ﴾[6].

ولما قالوا: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠ ﴾[7]، رد الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٠ ﴾[8].

---

(1) سورة النجم، الآية: ١-٢-٣-٤

(2) سورة سبأ، الآية: ٨.

(3) سورة سبأ، الآية: ٨

(4) سورة الصافات، الآية: ٣٦.

(5) سورة الصافات، الآية: ٣٧.

(6) سورة الصافات، الآية: ٣٨.

(7) سورة الطور، الآية: ٣٠

(8) سورة يس الآيات: ٦٩-٧٠

ولما قالوا: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، قال الله تعالى تكذيبًا لهم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

وعندما قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾[3] سماهم الله تعالى كاذبين في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾[4]، ولما قالوا: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[5] رد الله عليهم: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾[6].

ومثل هذا كثير في القرآن الكريم.

٣- أن الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الأنبياء، بل خاطبه بيا أيها الرسول وغيرها تشريفا وتعظيما له صلى الله عليه وسلم: قال

(1) سورة الأنفال، الآية: ٣١
(2) سورة الإسراء، الآية: ٨٨
(3) سورة الفرقان، الآية: ٤.
(4) سورة الفرقان، الآية: ٤.
(5) سورة الفرقان، الآية: ٥.
(6) سورة الفرقان، الآية: ٦

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾[4].

وعندما خاطب الله عز وجل غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، نادى كل واحد منهم باسمه فقال: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ۝٧٦ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ ﴾[8] وقوله تعالى: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ

(1) سورةالأنفال، الآية: ٦٤-٦٥
(2) سورةالمائدة، الآية: ٤١
(3) سورةالمدثر، الآية: ١
(4) سورة المزمل، الآية: ١
(5) سورةالبقرة، الآية: ٣٣
(6) سورةهود، الآية: ٧٦
(7) سورةص، الآية: ٢٦
(8) سورةمريم، الآية: ٧

بِقُوَّةٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[2].

وزيادة في تشريفه وتعظيمه وإجلاله صلى الله عليه وسلم، نهى الله عز وجل عباده المؤمنين أن يدعوه صلى الله عليه وسلم باسمه، بل يميزوه في خطابهم، كما تميز عن غيره، وأمرهم أن يدعوه تأدبا كما دعاه الله تفضيلا وإكراما وإجلالا ب "ياأيها الرسول"، أو "ياأيها النبي".

وقد دل على هذا من القرآن:

قول الله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[3]، قال ابن أبي حاتم[4]: "عن سعيد بن جبير لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال: لا تقولوا: يا محمد، قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله بأبي أنت وأمي."[5].

---

(1) سورة مريم، الآية: ١٢

(2) سورةآل عمران، الآية: ٥٥

(3) سورة النور، الآية: ٦٣.

(4) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، ولد ٢٤٠ه،صنف في علوم كثيرة: في الحديث والتفسير والفقه وغيرها. توفي رحمه الله ٣٢٧ ه.(الزركلي، الأعلام، ط١٥، ٣٢٤/٣)

(5) ابن ابي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ط٣، ٢٦٥٥/٨

وقال تعالى أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾[2] أي" لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فلا تقولوا: يا محمد " عند ندائكم، أو "يا محمد بن عبد الله" كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه صلى الله عليه وسلم عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله"[3].

المطلب الثالث: عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للعالمين:

إن الله عز وجل أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[4]، وأرسل الأنبياء والرسل قبل الرسول صلى الله عليه وسلم كل إلى قومه لينذروهم ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[5]، قال الشنقيطي[6]: "بين الله

([1]) سورة الحجرات، الآية: ٢.
([2]) سورة النور، الآية: ٦٣.
([3]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص٥٧٦.
([4]) سورة سبأ، الآية: ٢٨
([5]) سورة ابراهيم، الآية: ٤
([6]) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد ١٣٢٥هـ / ١٩٠٥م، أشهر مصنفاته: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن".

تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لم يرسل رسولا إلا بلغة قومه، لأنه لم يرسل رسولا إلا إلى قومه دون غيرهم"[1].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[2]،وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[3]،وقوله عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[4]،وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، وقال الله تعالى أيضا: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[6]،وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾[7].

توفي رحمه الله في مكة 1393هـ.(عطية محمد سالم، ترجمة الشيخ محمد الأمين الشقيطي - في مقدمة أضواء البيان)

(1) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط،٢٤١/٢

(2) سورة الأعراف: الآية: (٥٩)

(3) سورة الأعراف: الآية: (٦٥)

(4) سورة الأعراف: الآية: (٧٣

(5) سورة الأعراف: الآية: (٨٠

(6) سورة الأعراف: الآية: ٨٥

(7) سورة الأعراف: الآية: ١٠٣

أما الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أرسله الله إلى الناس جميعا بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا؛ وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك منها:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1]،قال الشوكاني: "أمره سبحانه أن يقول هذا القول المقتضى لعموم رسالته إلى الناس جميعا، لا كما كان غيره من الرسل عليهم السلام، فإنهم كانوا يبعثون إلى قومهم خاصة؛ وجميعا منصوب على الحال أي حال كونكم جميعا"[2].

وقال الشنقيطي: "هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم رسول إلى جميع الناس"[3]، ووقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ

(1) سورة الأعراف: الآية: ١٥٨
(2) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط١، ٢٥٤/٢
(3) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط،٤١/٢
(4) سورة سبأ: الآية: ٢٨
(5) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٧

عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾[4]وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[6].

وقد أرسل صلى الله عليه وسلم أيضا "إلى الجناتفاقًا، والدليل على ذلك...قول الله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[7]، "وقد أجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الآية، وهو مدلول لفظها"[8].

ودليل ذلك أيضا، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا

---

(1) سورةالفرقان: الآية: ١

(2) سورة الانعام، الآية: ٩٠.

(3) سورة يوسف، الآية: ١٠٤.

(4) سورة ص، الآية: ٨٦-٨٨.

(5) سورة القلم، الآية: ٥١-٥٢.

(6) سورة التكوير، الآية: ٢٦-٢٧.

(7) سورةالفرقان، الآية: ١.

(8) الزرقاني، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،ط١، ٢٣٨/٧-٢٣٩.

سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

([1]) سورة الأحقاف: الآية: ٢٩-٣٢

المبحث الثاني

معجزاته صلى الله عليه وسلم[1]

ذكر القرآن الكريم عدة معجزات لأنبياء كانوا قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر أغلبها في معرض ما جرى بين الأنبياء وأقوامهم المكذبين لهم.

كما بين القرآن أن هذه المعجزات السالفة كانت معروفة عند من بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب، لكنها دخلها الخيال والوهم وابتعدت كثيرا عن الحقيقة، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾[2]، قال الشنقيطي: " ذكر – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة أن الكفار اقترحوا على نبينا أن يأتيهم بآية كآيات الرسل قبله؛ نحو ناقة صالح، وعصى موسى، وريح سليمان، وإحياء عيسى للأموات، وإبرائه الأكمه والأبرص، ونحو ذلك.

(١) المعجزة أمر خارق للعادة، ولا تكون مما يقدر أحدعلى معارضتها. فاختصاصها بالنبي، وسلامتها عن المعارضة شرط فيها...وليس من شرطها استدلال النبيبها، ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته، وإن خلت عن هذين القيدين.(ابن تيمية، النبوات، ط١، ٤٩٨/١-٥٠٠ بتصرف)

(٢) سورة الانبياء، الآية: ٥.

وإيضاح وجه التشبيه في قوله: كما أرسل الأولون هو أنه في معنى: كما أتى الأولون بالآيات؛ لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات"[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٧ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ ﴾[4]

وقد جاء ذكر المعجزات –وجاءت أكثر تفصيلا –في الآيات والسور المكية للدلالة على أمور ومقاصد منها:

–دفع مشركي قريش إلى الاتعاظ والاعتبار إلى ما آل إليه أمر المكذبين بالأنبياء والرسل، وبما جاؤوا به من المعجزات، قصد التخويف والترهيب ليرتدعوا عما هم عليه، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ ﴾[5].

---

(1) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط، ١٣٦/٤

(2) سورة الانعام، الآية: ٣٧.

(3) سورة يونس، الآية: ٢٠

(4) سورة طه، الآية: ١٣٣

(5) سورة الإسراء، الآية: ٥٩

– الدلالة على صدق ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي، والتفصيل الذي جاء به القرآن عن تلك المعجزات ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم ولاقومه يعلمون به قبل مجيء الوحي؛ فدل ذلك على أنه من عند الله.

–بيان معية الله لأنبيائه وأوليائه الصالحين بالتأييد والنصرة، وأن العاقبة لهم في الدنيا والآخرة.

–أن المعجزات دليل صدق الأنبياء والرسل وهداية للمؤمنين، وغواية وفتنة للكافرين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾[1]، "قوله: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ﴾، أي: مخرجوها من الهضبة، فتنة لهم أي ابتلاء واختبارا... لأنهم اقترحوا على صالح إخراج ناقة من صخرة، وأنها إن خرجت لهم منها آمنوا به واتبعوه، فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح، وفتنة لهم أي ابتلاء واختبارا"[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾[3]، "والمعنى: إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس، حتى استلج الكفار بكفرهم وازداد شرهم،

(1) سورة القمر، الآية: ٢٧.
(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط،٤٧٩/٧.
(3) سورة الاسراء، الآية: ٦٠

وبعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور ليلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة"[1] أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء قومه بالآيات والمعجزات الدالة على نبوته، وهي كثيرة.قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: "ومعجزاته تزيد على ألف معجزة مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات ومثل القرآن المعجز ومثل أخبار أهل الكتاب قبله وبشارة الأنبياء به... ومثل أخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله عز وجل من غير أن يعلمه إياها بشر"[3].

وقال القاضي عياض: "وهو- صلى الله عليه وسلم- أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا...وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها"[4].

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٤٦١

(2) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الشهيربابن تيمية الحراني، ولد ٦٦١ ه، صنف ودرس وأفتى، وتوسع في المعقول والمنقول، توفي رحمه الله ٧٢٨ هـ.(ابن حجر العسقلاني، ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، ص١٩-٢٠)

(3) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط٢، ٣٩٩/١-٤٠٠.

(4) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،د.ط،٤٩٣/١.

وسأقتصر في هذا المبحث على التطرقلمعجزاته الكبرى صلى الله عليه وسلم في القرآن في العهد المكي، وهي: القرآن الكريم، وانشقاق القمر، والإسراء والمعراج.

المطلب الأول: معجزة القرآن الكريم

عن أبي هريرة قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[1].

فالمعجزة العظمى التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن، كما دل على ذلك الحديث الشريف.

أما أدلة ذلك من القرآن: قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[2]، "قال تعالى مبينا كثرة جهلهم وسخافة عقلهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو أعظم من كل

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن المناقب، باب كيف نزول الوحي، ص٧١٤، رقم ٤٩٨١.
(2) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠-٥١

معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾أي: أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي" [1].

وقد اختلف العلماء كثيرا في المعجز في القرآن، وما يمكن أن يذكر هنا، هو القدر المتفق عليه بين الجميع؛ ألا وهو: الإعجاز في عدم القدرة على الإتيان بمثله.

قال الله تعالى متحديا العالمين أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله فعجزوا عن ذلك كله، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[3]وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، ٦ /٢٦٠

([2]) سورةالطور، الآية: ٣٣- ٣٤

([3]) سورة الاسراء، الآية: ٨٨

مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[2].

إن الذي تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم العرب الذين نزل فيهم القرآن هو الفصاحة والبلاغة التي في القرآن، وهو يعلم علم اليقين أن " الفصاحة والبلاغة مبثوثة في رجال العرب ونسائها وعبيدها وإمائها وعقلائها ومجانينها، وقد علم صلّى الله عليه وسلم أنهم في اللغة والبلاغة قبله، وهو منهم تعلم، وهو عاقل، فلولا أنه قد تيقن أنهم لا يأتون بذلك- بمثل القرآن- لما أقدم على الإخبار بذلك"[3].

وإلى الأمر نفسه يشير القاضي عياض في كلام طويل لكنه مفيد في بيان ما نحن بصدده، قال: "وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب...فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهجون الدمن...ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه

(1) سورة هود، الآية: ١٣

(2) سورة يونس، الآية: ٣٨

(3) القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، د.ط، ٨٦/١

خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل...ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناطعة والكلمات الجامعة... وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيوبها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز... صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بعضا وعشرين عاما على رؤوس الملإ أجمعين...﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾" [1].

وقال الدكتور مساعد الطيار في حصر الإعجاز القرآني الذي وقع به التحدي من جهة الفصاحة والبلاغة فقط، قال: "وإذا جمعت الوجوه التي حُكيت في أنواع الإعجاز... وجدت أنها لا تكون في كل سورة، بل تتخلف في كثير من السور، فمثلاً: ليس في كل السور إخبار بالغيب.

أما الذي يوجد في كل سورة بلا استثناء فهو الوجه المتحدي به، وهو ما يتعلق بالنظم العربي لهذا القرآن (لغة وبلاغة وأسلوباً) بأي اصطلاح اصطلح عليه العلماء؛ كقول بعضهم: الإعجاز البلاغي، وقول آخرين:

(1) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،د.ط، ٢٥٩/١-٢٦٠.

الإعجاز البياني... إلخ، فإن مرجعها إلى النظم العربي المتميز لهذا القرآن الكريم"[1].

المطلب الثاني: معجزة انشقاق القمر:

جاء اثبات هذه المعجزة في قول الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾[2].

وقال البخاري: "حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك – رضى الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما "[3].

وهذه المعجزة تدخل ضمن المعجزات الحسية التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، دلالة على صدق نبوته، ومواساة له من ربه على من كذبه من كفار قومه، وتعظيما لجنابه الكريم بهذه الآية الحسية العظمى التي لم يكن مثلها لأحد من الأنبياء قبله؛ "قال العلماء: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت

---

(1) الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، ط٢، ١٣/١

(2) سورة القمر، الآية: ١.

(3) أحرجه البخاري في صحيح الجامع، باب انشقاق القمر، ص،رقم٣٨٦٨

السماء خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر"[1].

وقد تكلم العلماء على هذه المعجزة بهدف إثباتها وبيان خصائصها ودفع الشبهات حولها بكلام طويل نجمل بعضه فيما يأتي:

١-أن هذه المعجزة ثابتة بالوحي، فلا حاجة ابتداء للاستدلال عليها بغيره: قال ابن كثير في البداية والنهاية: "وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة...وشهرة هذا الأمر تغني عن إسناده مع وروده في الكتاب العزيز" [2].

وقال القاضي عياض في الشفا: "فالقرآن نص بوقوعه- انشقاق القمر- وأخبر بوجوده، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين، ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك في قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه" [3].

---

(١) السيوطي، الخصائص الكبرى، د.ط، ١ /٢١٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، ٨٢/٦.

(٣) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،د.ط،٢٥٥/١.

٢-أن الذين يردون ويشككون في هذه المعجزة في كل زمان ومكان، يلتقون مع إخوانهم من كفار قريش الذين عاينوها وذلك بكون:

الأولين، شغبوا على الحقيقة الدامغة، وأقنعوا أنفسهم زورا وبهتانا أن ذلك كان سحرا﴿ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾[1].

والآخرين، كفروا بالوحي، وانصرفوا عنه إلى الهوى والبهتان، فتارة يردون هذه المعجزة بالعقل مع كونها معجزة؛ وتارة يردونها تحت مسمى العلم، وتارة بهذا وذاك.

إن الإعراض واتباع الهوى تحجب صاحبها عن الحق، فتحول بينه وبين الإذعان له مهما كان واضحا. فالمبطلون من كفار قريش الذين عاينوا انشقاق القمر لم ينتفعوا بما أثبتته حواسهم، فكان لزاما أن أشباههم في كل زمان ومكان لم ينتفعوا ولن يعتبروا بعقولهم وعلومهم ولا بالأنباء التاريخية وغيرها.

٣-أن قصدالمعرضين عن الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى "فقالوا: ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل، وهذا ليس إنكارا منهم لهذه

(١) سورة القمر، الآية: ٢

الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل والرد لها، ولهذا قال: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ﴾ولم يعد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: وإن يروها بل قال: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ ﴾"[1].

٤- أن هذه الآية لم تكن المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لم يطلبها من ربه، بل لماطلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار صلى الله عليه وسلم إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين.

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٨٢٣.

المطلب الثالث: معجزة الإسراء والمعراج:

تم التطرق في بداية هذا البحث إلى معجزة الإسراء، ولن يتكرر هنا ما تم التطرق له هناك، والغرض الآن ذكر ماله علاقة بهذه المعجزة.

ذكر القرآن بشكل صريح ثبوت هذه المعجزة في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1].

أما المعراج فالله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

إن معجزة الإسراء والمعراج لم تكن بطلب من المشركين والجاحدين لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما هو الحال في معجزة شق القمر؛ إنما كانت هذه المعجزة تكريما للرسول صلى الله عليه وسلم ومواساة له على العنت الذي لقيه ويلاقيه لما يقرب من اثنتا عشرة سنة من الجاحدين والمعرضين من الكفار بمكة، إنه جبر لخاطره الشريف في محفل إلهي كريم يشهد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات ربه الكبرى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ

(1) سورة الاسراء، الآية: ١

(2) سورة النجم، الآية: ١٣-١٨

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾، إنها استضافة إلهية رفع الله عز وجل فيها من شأن نبيه، وأظهر له فيها سمو مكانته عنده؛ ما جعل كل هوان من الناس يهون.

إن هذه المعجزة كانت فتنة للناس، سقط بها من كان متذبذبا في دينه، وازداد بها المؤمنون صدقا وإيمانا، بينما ازداد بها الكفار عنادا وتكذيبا وجحودا.

وهذه المعجزة أيضا تعرضت للتشكيك والتكذيب منذ إعلان الرسول صلى الله عليه وسلم عنها في مكة، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما كذّبتني قريش، قمت في الحجر، فجلّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه)[1].

كما أن أعداء هذا الدين اتخذوا أحداثها لتشكيك ضعاف الإيمان في دينهم، وصد الناس عن الإيمان بالله وحده واتباع رسوله صلى الله عليه.

وفي ذيل هذا المبحث، لا أريد أن أكرر من القضايا ما قتله علماء الإسلام بحثا في مسألة معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلا فمن أراد تتبع ذلك وجده مستوفى في مصنفات أئمة الإسلام وعلمائه رحمهم الله.

([1]) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب مناقب الصحابة، باب حديث الإسراء، ص٥٢٦،رقم الحديث٣٨٨٦.

وإنما الذي أود طرحه هنا، هو بعض القضايا التي لازالت تثار إلى يومنا هذا بخصوص معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم؛ خاصة معجزاته الحسية، مثل معجزة الإسراء والمعراج.

وقد تناولت فيه قضيتين:

الأولى: حول منهج القرآن في التعامل مع المكذبين والجاحدين لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم.

والثانية: في الإشارات الدالة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم من خلال معجزاته.

الأولى: حول منهج القرآن في التعامل مع المكذبين والجاحدين لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم:إن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم مازالت كما كانت فتنة للضالين المتشككين في كل زمان ومكان، فمنهم من يتخذ إنكارها مدخلا لإنكار الإسلام من أصله كما هو ديدن المستشرقين، ومنهم من يحيد عن منهج القرآن في إثبات هذه المعجزات فتأتي النتائج عكسية.

إن القرآن الكريم رسم المنهج القويم في التعامل مع الجاحدين والمشككين والمكذبين عند ذكره للمعجزات كشق القمر ومعجزة الإسراء، فرغم هول وعظم هذه المعجزات، فإن القرآن اقتصر في ذكر كل واحدة منها

بعبارة مختصرة، فذكر معجزة انشقاق القمر في كلمتين فقط، فقال في سورة القمر﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾[1]وقد يقول قائل إن ما جاء بعد هذه الآية في السورة يتحدث عن آية انشقاق القمر، فالأمر ليس كذلك، قال العلامة السعدي: "وقوله: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ ﴾ لم يعد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: وإن يروها بل قال: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ ﴾"[2].

أما معجزة الإسراء، فلم يتجاوز القرآن آية أو آيتين في ذكرها؛ قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ ﴾[3]

فالقرآن تناول هذه المعجزات بما فيه الكفاية للمخاطب به، المصدق والمكذب على السواء، فالمكذبون ليسوا طلاب الحق، وليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾[4]وقوله تعالى:﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ۝٤ ﴾[5]،وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ

(1) سورة القمر، الآية: ١.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٨٢٣.
(3) سورة الاسراء، الآية: ١
(4) سورة القمر، الآية: ٢-٣
(5) سورة الانعام، الآية: ٤

ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]، "يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم"[2]وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ ﴾[5]، لهذا فالقرآن الكريم لماأوجز العبارة في ذكر هذه المعجزات، علم أن المكذبين لن يهتدوا بكثرة التفصيل فيها وبيان جزئياتها وحِكمها؛ لذا جعل الإيمان بهامرتبط بشيء آخر وهو، الإيمان بالله عز وجل والتصديق برسالة نبيه صلى الله عليه وسلم في استسلام وخضوع.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم سار على منهج القرآن الذي تربى عليه، فلم يمنعه علمه المسبق برَدة فعل المشركين السلبية أن يخبرهم في

---

(1) سورة يونس، الآية: ٩٦و٩٧

(2) السعدي،، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ٣٧٤/١

(3) سورة الانعام، الآية: ١١١

(4) سورة الانعام، الآية: ٢٥

(5) سورة الأنعام، الآية: ٧.

شجاعة عظيمة عن إسرائه إلى بيت المقدس، تبليغا منه صلى الله عليه وسلم للوحي، وإقامة للحجة عليهم وكفى.

وحسبنا في تطبيق هذا المنهج القرآني واستيعابه وفهمه وبيانه، موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لما جاءه كفار قريش يخبرونه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد عليهم في إيجاز ووضوح دون التفاصيل الدقيقة والنقاشات المملة؛ ذكر ابن هشام[1] في السيرة، أنه ذهب إليه أناس وقالوا له: "هل لك يا أبا بكر في صاحبك ؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ! فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه.

قالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس.قال أبو بكر: والله لئن كان قاله، لقد صدق.فما يعجبكم من ذلك ؟ فو الله إنه ليخبرني أن الوحي ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه) [2].

ثم وجدت من أهل العلم من أثبت هذا المنهج ونص عليه، قال القاضي عياض في الشفا: "فالقرآن نص بوقوعه- انشقاق القمر- وأخبر

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري - وقيل الذهلي - أبو محمد البصري النحوينزيل مصر، مهذب السيرة النبوية؛ وفاته سنة ٢١٣هـ وقيل ٢١٨ هـ.(السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، د.ط، ١١٥/٢)

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ط٢، ٣٩٩/١

بوجوده، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين، ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك في قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه"[1].

إن القرآن جعل الإيمان بهذه المعجزات متوقف على الإيمان بآياته والوقوف على الأسرار العظيمة التي فيها، ثم إن الابتعاد عن هذا المنهج سيؤدي إلى اتباع مناهج مخالفة تسترشد بمناهج ودراسات الإستشراق المفضية إلى تأويل وإنكار المعجزات، أو إلى مناهج تحاول إثبات وقوع هذه المعجزات بضرب الأمثال لها أو الاستشهاد لإمكانية وقوعها بما تكشفه العلوم الحديثة وغير ذلك.

وحتى وإن كان منطلق هذا المنهج الأخير سليما، فإنه لا ينبغي أن تكون له الأولوية في إثبات حقائق الدين، فيكون ما شهد له ثابتا وصحيحا، وما لم يكن كذلك حامت حوله الشكوك؛ أو تشرع الأبواب أمام هذا المنهج من غير ضوابط فيبحث في ما ليس من مجاله.

والثانية: في الإشارات الدالة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم من خلال معجزاته:

([1]) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،د.ط، ٤٩٥/١.

إن معجزاته صلى الله عليه وسلم تتضمن إشارات تبرز عالمية دعوته، ويمكن تبيان ذلك من خلال:

كون معجزات الأنبياء والرسل انتهت في وقتها، ومعاينة تلك المعجزات ما كانت إلا وقت ظهورها، أما معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم المتمثلة في القرآن فباقية، فهي معجزة مستمرة دائمة لا تختص معاينتها بزمان ومكان وقوم معينين، ولا تخاطب جيلا أو قوما في مجال زماني ومكاني محدود، بل تتوجه للعالمين خارج الزمان والمكان والاعتبارات.وقد حصل العلم القطعي أنه صلى الله عليه وسلم جاء بكتاب من عند الله، ناطق بعموم رسالته إلى النّاس أجمعين، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].

أما انشقاق القمر: فآية قدر الله لها أن تكون في السماء فلا تكون حجة على من شهدها من أهل مكة فقط، بل إن ذلك الانشقاق قد رآه كثير من الناس في جهات أخرى من العالم.

أما الإسراء والمعراج فكان إلى بيت المقدس، فدل ذلك على أن دعوته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر في مكة أو جزيرة العرب، كما أن صلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء وإمامته إياهم دلالة على اتباعهم له ولدينه،

(1) سورة الاعراف، الآية: ١٥٨.

فلا يصح دين على وجه الأرض بعد بعثته صلى الله عليه وسلم إلا دينه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1].

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

نتائج البحث

في ختام هذا البحث، أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة:

. إن فهم وتفسير كثير من آي الذكر الحكيم، يتوقف على معرفة سيرته صلى الله عليه وسلم، بحيث إن مقاصد وروح القرآن الكريم لم تتجسد على أرض الواقع.

. إدراك الفهم بصورة كبيرة على توطيد العلاقة بين القرآن الكريم و السيرة النبوية الشريفة مما يعين على فهم مراد الله سبحانه وتعالى.

– القرآن الكريم هو المحور الذي تدور حوله السيرة النبوية الشريفة، وهي متعلقة به، ومتعلقة بعلم التفسير.

. إن السيرة النبوية هي المنبع الوحيد الذي تتفجر منه ينابيع حياة العالم الإسلامي وسعادة المجتمع البشري

. إن السيرة النبوية: هي الرسالة التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المجتمع البشري وأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور.

– إن السيرة النبوية في العهد المكي تمثل جانباً مهما من كتاب الله عز وجل، وأن سيرته صلى الله عليه وسلم في القرآن بعد البعثة في هذا العهد، قدحظيت بعناية أكبر من سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

– بيان السيرة في القرآن في العهد المكي لجوانب مختلفة من حياته وبيئته صلى الله عليه وسلم

– اهتمام السيرة في القرآن في العهد المكي بجانب إصلاح الاعتقاد وتزكية الأخلاق، أكثر من الجانب التشريعي.

– السيرة النبوية في القرآن الكريم في العهد المكي ترسم منهجا واضحا للسير بالدعوة إلى الله عز وجل مهما كانت الظروف، وتضع منهجا لدحض كثير من الشبهات والافتراءات التي يتعرض لها نبينا صلى الله عليه وسلم

– التأكيد على أن عطاء القرآن لاينفذ، وأن سيرة الرسول الكريم محفوظة بحفظ الله لكتابه العزيز.

فهرس المصادروالمراجع

١)
إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيقمجمع اللغة العربية،د.ط،(د.م: دار النشر/دار الدعوة، د.ت)

٢)
أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)

٣)
الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، ط١، (السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)

٤)
الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط١، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)

٥)
البُخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة،الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، اعتنى به: عبدالسلام بن محمد علوش، ط١، (الرياض:مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٦)
البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)
٧)
البوصيري، محمد بن سعيد، البردة، شرح ابراهيم الباجوري،د.ط، (القاهرة:مكتبةالآداب، ١٩٩١م)
٨)
ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ط٢، (السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)
٩)
الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)،
١٠)
ابن ابي حاتم، أبو محمد عبد الرحمان بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ)
١١)
ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز،ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)

(١٢
الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد،إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ)
(١٣
الخطيب، محمد عبد الفتاح، القيم الحضارية في الإسلام: نحو حداثة إنسانية جديدة، ط١، (القاهرة: دار البصائر، ١٤٣٢هـ)
(١٤
الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)
(١٥
دروزة، محمد عزة، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: صور مقتبسة من القرآن الكريم، د.ط، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ت)
(١٦
الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب أوالتفسير الكبير، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ)
(١٧
الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط١، (دمشق وبيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ)
(١٨
رزوق، عبد الصبور، السيرة النبوية في القرآن الكريم، العدد٦، (مطبوعات رابطة العالم الاسلامي، السنة الاولى رمضان ١٤٠١هـ)

(١٩
الزبيدي، عبد الرحمان بن زيد، السلفية وقضايا العصر، ط١، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨م)
(٢٠
الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط١، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)
(٢١
الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)
(٢٢
الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط١٥، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)
(٢٣
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق،عبدالرحمن بن معلا اللويحق،ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)
(٢٤
السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق عبدالرحمان الوكيل، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢ هـ)

(٢٥
سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، التصوير الفني في القرآن، ط١٧(بيروت: دار الشروق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)
(٢٦
سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط١٧، (بيروت:دار الشروق، ١٤١٢ هـ)
(٢٧
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (صيدا- لبنان: المكتبة العصرية، د.ت)
(٢٨
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م)
(٢٩
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية – بيروت
(٣٠
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق علي محمد عمر، ط١، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ)
– الشامي، صالح احمد، أضواء على دراسة السيرة، ط١، (بيروت: المكتبالاسلامي،١٤١١هـ/١٩٩٠م)

(٣١
شقرة، محمدابراهيم، السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، ط١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م)
(٣٢
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط، (بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٤١٥ هـ١٩٩٥ م)،
(٣٣
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط١، (دمشق–بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ)،
(٣٤
الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن،تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١،(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م)
(٣٥
الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجازالعلمي،ط٢، (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٣ هـ)،
(٣٦
ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، د.ط، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)

(٣٧
ابن ابي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط٩، (بيروت:المكتب الاسلامي)
(٣٨
ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)
(٣٩
الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)
(٤٠
القاضي عبد الجبار، بن أحمد، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق: الدكتورعبد الكريم عثمان،د.ط،(بيروت: دار العربية، د.ت)
(٤١
القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د.ط، (بيروت:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م)
(٤٢
القرضاوي، يوسف عبدالله، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م)

(٤٣
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (القاهرة:دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م)
(٤٤
القسطلاني، أحمد بن محمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، د.ط، (القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت)
(٤٥
القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م)
(٤٦
القطان، مناع؛ مباحث في علوم القرآن، ط٣، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د.ت)
(٤٧
ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين،جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، (الكويت:دار العروبة،١٤٠٧هـ— ١٩٨٧م)
(٤٨
ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٧،(بيروت:مؤسسة الرسالة،١٤١٥هـ /١٩٩٤م)

(٤٩
ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٣، (بيروت:دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م)
(٥٠
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،تفسير القرآن العظيم،تحقيق محمود حسن، د.ط(بيروت: دار الفكر،١٤١٤هـ/١٩٩٤م)
(٥١
المانع، مانع بن محمد بن علي، القيم بين الاسلام والغرب، ط١،(الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)
(٥٢
الماوردي، علي بن محمد البصري البغدادي، أعلام النبوة، ط١، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٠٩ هـ)
(٥٣
مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، د.ط، (بيروت: دار الجيل).
(٥٤
ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)
(٥٥
النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب

القرآن ورغائب الفرقان،ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)

٥٦) ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

٥٧) الامين النعيم، عبدالله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، ط.١، (سلسلة الرسائل الجامعية العدد٢١، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٧م)

٥٨) الغزالي، محمد، فقه السيرة، ط١، (القاهرة: دار البيان للتراث، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)

٥٩) الراوي، محمد، السيرة في القرآن، النشرة ١٦٦٧، (منشورات جريدة اخبار اليوم المصرية، قطاع الثقافة، ١٩٩٨م)

مواقع على الانترنيت

مرزوك، عبدالرزاق، **دلالة مصطلح "السيرة" بين ابن هشام والحاكم**

http://www.alukah.net/sharia/0/9178/#ixzz3r2AMpOMY

استعرض بتاريخ 12/1/2010ميلادي - ١٤٣١/١/٢٦ هجري

المحتويات

المقدمة..... ٣
التمهيد: التعريف بمفردات موضوع البحث ١١
المطلب الأول: التعريف بالقرآن الكريم..... ١١
المطلب الثاني: التعريف بالسيرة النبوية الشريفة..... ١٣
المطلب الثالث: التعريف بالعهد المكي..... ١٤
الفصل الأول: شخصية الرسول ﷺ في القرآن الكريم من ميلاده إلى بعثته..... ١٦
المبحث الأول: نسبه الشريف وولادته وأسماؤه ﷺ..... ١٧
المطلب الأول: نسبه الشريف ﷺ..... ١٧
المطلب الثاني: ولادته ﷺ..... ٢٠
المطلب الثالث: أسماؤه ﷺ..... ٢٤
المبحث الثاني: الله عز وجل يربي محمدا بالأحداث والأحوال الفاضلة تمهيدا لبعثته . ٢٩
المطلب الأول: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحداث الكبار..... ٣١
المطلب الثاني: تربيته صلى الله عليه وسلم بالأحوال الفاضلة ٣٥
الفصل الثاني: تربية الله عز وجل للرسول ﷺ بعد البعثة..... ٣٧
المبحث الأول: تربيته ﷺ بالقرآن..... ٣٨
المطلب الأول: الله يربي الرسول على أداء حق القرآن..... ٣٩
المطلب الثاني: القرآن يربي الرسول على إخلاص العبادة لله ٤٤

المطلب الثالث: تربيته ﷺ بقصص الماضين من الأنبياء والأمم ٤٩
المطلب الرابع: القرآن يتبث الرسول ﷺ أمام ما يلقاه من المكذبين والمعاندين.. ٥١
المبحث الثاني: تربيته ﷺ بالعبادات ٥٨
المطلب الأول: تربيته ﷺ بالصلوات وما يتبعها من العبادات ٥٩
المطلب الثاني: تربيته ﷺ بالدوام على العبادة والاشتغال بها ٦٣
الفصل الثالث: خصائص الرسول ﷺ ومعجزاته..... ٦٥
المبحث الأول: خصائص الرسول ﷺ..... ٦٦
المطلب الأول: عصمة الله له ﷺ من الناس ٦٦
المطلب الثاني: تعظيم الله لرسوله ﷺ وتشريفه إياه والدفاع عنه..... ٧١
المطلب الثالث: عموم رسالته ﷺ للعالمين ٧٧
المبحث الثاني: معجزاته ﷺ ٨١
المطلب الأول: معجزة القرآن الكريم..... ٨٥
المطلب الثاني: معجزة انشقاق القمر ٨٩
المطلب الثالث: معجزة الإسراء والمعراج..... ٩٣
أهم نتائج البحث..... ١٠١
فهرس المصادر..... ١٠٤
فهرس الموضوعات ١١٥